طوفان الأقصى نقطة تحوّل في سياسات الشرق الأوسط

Al-Aqsa Flood | A Turning Point in Middle Eastern Politics

Author: Muhittin Ataman	**تحرير: محيي الدين أتامان**
Publisher: Seta, İstanbul, 2024	**الناشر: مركز ستا، إسطنبول**، 2024
Reviewed by: Azad Mohammad	**مراجعة: آزاد عدنان محمد**
Pages: 320	**عدد الصفحات:** 320

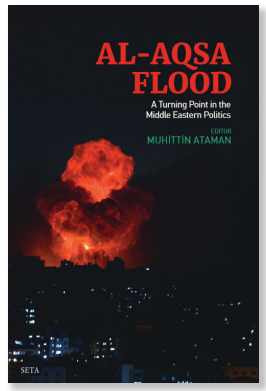

صدر كتاب جديد عن مركز ستا للبحوث السياسية والاقتصادية والاجتماعية في إسطنبول بعنوان: «طوفان الأقصى نقطة تحوّل في سياسات الشرق الأوسط» للمحرر والكاتب محيي الدين أتامان، وهو باحث بارز، نشر بحوثًا أكاديمية كثيرة حول السياسة الخارجية التركية وسياسة الشرق الأوسط والخليج، وهو يشغل كذلك منصب رئيس تحرير مجلة «إنسايت تركيا» التي تصدرها مؤسسة ستا.

يسلّط الكتاب الضوء على موضوعات مختلفة تتعلق بالمسألة الفلسطينية الإسرائيلية. أسهم في هذا الكتاب عدد من المفكرين والأكاديميين البارزين المعروفين من تركيا وفلسطين وأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، مع التركيز على أبعاد مختلفة للمسألة.

يتكون الكتاب من جزئين رئيسين: يركز الجزء الأول – وعنوانه: «السياق السابق»– على الوضع الفلسطيني قبل طوفان الأقصى، بينما يركز الجزء الثاني – وعنوانه: «السياق الحالي»– على التطورات الفلسطينية بعد طوفان الأقصى؛ من أجل إبراز تأثيرات طوفان الأقصى والتطورات اللاحقة للقرّاء.

جمع المحرّر محيي الدين أتامان في هذا الكتاب بعض البحوث والدراسات المنشورة سابقًا في أعداد مختلفة من مجلة إنسايت تركيا. بدأ الكتاب ببحث للأستاذ الشيخ عكرمة صبري خطيب المسجد الأقصى ورئيس الهيئة الإسلامية العليا في القدس بعنوان: «مكانة بيت المقدس وأهميته في الإسلام»، بيّن فيه أهمية مسجد الأقصى (أولى قبلة المسلمين)، وأبرز مكانته الدينية في الإسلام وللمسلمين، من خلال التطرق إلى الروابط الوثيقة، وهي الروابط التاريخية والعَقَدية والحضارية التي تُعَدّ روابط متينة تربط المسلمين ببيت المقدس وأرض فلسطين.

DOI:10.36360/1560-013-003-011

وفي الكتاب تحليل لدور الربيع العربي؛ أي الانتفاضات والثورات العربية التي اندلعت في عام 2011، إذ انهارت بعض الدول والأنظمة التي كانت تُعرَف بأنها الحامل الرئيس للقومية العربية، وفي الوقت الذي تنعدم فيه الإرادة والقوة في العالم العربي للمقاومة ضد أي تطور معاد للفلسطينيين، تحاول الحكومتان الإسرائيلية والأمريكية الحاليتان إسباغ الشرعية على الجرائم والمجازر الإسرائيلية ضد الإنسانية، وانتهاكات حقوق الإنسان. ومعظم الخطوات التي اتخذتها هاتان الحكومتان خلال فترة ما بعد الربيع العربي يتعارض مع الأعراف والقواعد الدولية وتنتهكها.

بالإضافة إلى ما سبق يسلّط الكتاب الضوء على موقف القانون الدولي الرافض للاستيطان الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلّة، ثم موقف السياسة الخارجية الأمريكية في دعم مشروع الاستيطان الإسرائيلي؛ الذي أدّى إلى التسريع والتوسيع في الأنشطة الاستيطانية بعد عام 2015م؛ حيث سجّلت البيانات الإحصائية أعلى إنفاق مادي على المستوطنات منذ عقد من الزمن! ورغم أنّ سياسة الاستيطان الإسرائيلية جريمة بموجب قانون روما فإن وزير الخارجية الأمريكية مايك بومبيو أعلن في عام 2019: «أن إقامة المستوطنات المدنية الإسرائيلية في الضفة الغربية لا تتعارض في حدّ ذاته مع القانون الدولي»، علمًا أن المستوطنات الإسرائيلية -كما ذكرنا آنفًا- مخالفة للقانون الدولي منذ إنشاء أوّلها وحتى اليوم؛ لأنها تنتهك الفقرة 6 من المادة 49 من اتفاقية جينيف. كما شكل اعتراف الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب بـ«القدس» عاصمة لـ«إسرائيل» ونقل السفارة الأميركية من تل أبيب إلى القدس- نقطة محورية في تاريخ الشرق الأوسط؛ لأنّ هذا يعني ضمنيًّا أن الولايات المتحدة تدعم طرد الشعب الفلسطيني من وطنه، ومنع إقامة دولة فلسطينية. بعبارة أخرى، ناقضت الولايات المتحدة سياستها التقليدية، وتخلت عن حلّ الدولتين الذي طالما نادت به. بالإضافة إلى ذلك يُعَدّ هذا القرار انتهاكًا واضحًا للقواعد الأساسية للقانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة.

ويشير الكتاب أيضًا إلى توقيت «صفقة القرن» وعلاقتها بالوضع في العالم العربي في مرحلة ما بعد الربيع العربي، حيث إن جميع الدول العربية ذات الوزن الثقيل أصبحت تقريبًا في حالة فوضى، أو غير مستقرة سياسيًّا، أو ضعيفة. ومن ثَمّ، لا توجد دولة عربية قوية تدافع عن حقوق الفلسطينيين.

أما الجزء الثاني من الكتاب -وعنوانه «السياق الحالي»- فيتناول الهجوم الذي شنته حماس في 7 أكتوبر 2023م؛ أي عملية «طوفان الأقصى»، وقد عدّه نقطة تحوّل؛ لا في المسألة الفلسطينية الإسرائيلية وموازين القوى في الشرق الأوسط فقط، بل في تاريخ العالم الحديث أيضًا. فرغم عزلة حركة المقاومة الإسلامية الفلسطينية «حماس» عن بقية العالم، وتعرضها لكل أنواع المعاملة غير الإنسانية، وخضوعها لحصار شديد مدة 17 عامًا- رغم كل ذلك بادرت إلى تنفيذ عملية طوفان الأقصى، وألحقت بـ«إسرائيل» ما يُعَدّ حتى الآن أكبر ضرر عسكري وسياسي واقتصادي واجتماعي ونفسي. وقد ردّت «إسرائيل» بواحدة من أكثر الهجمات وحشية ضد شعب غزة بأكمله الذي يبلغ عدد سكانه أكثر من 2.3 مليون نسمة. ومنذ 7 أكتوبر

قتلت «إسرائيل» أكثر من 40,000 شخص، غالبيتهم من الأطفال والنساء، وهي تستهدف أي شخص أو مكان لوثوقها من الدعم غير المشروط لها من معظم الحكومات الغربية.

وفي هذا السياق قتلت القوات الإسرائيلية أكثر من 100 صحفي حتى 28 مارس/آذار 2024. ووفقًا للتقارير التي نشرتها وكالات الأمم المتحدة مثل اليونيسف فإن «إسرائيل» استهدفت أكثر من 200 مدرسة، ودمّرت معظمها بالكامل، حتى إنها ضربت المدارس التي تديرها الأمم المتحدة، وسيارات الإسعاف، والمنظمات الخيرية مثل المطبخ المركزي العالمي، وقتلت المئات من الموظفين المدنيين الدوليين، ومتطوعي الإغاثة. وبالمثل، دمرت «إسرائيل» عشرات المساجد والكنائس في غزة. واستهدف النظام الصهيوني كذلك سيارات الإسعاف التي تنقل الجرحى، وعشرات المستشفيات، ومنع علاج الناس. باختصار، تجاوزت وانتهكت «إسرائيل» جميع الخطوط الإنسانية الحمراء، وارتكبت مرارًا وتكرارًا جرائم حرب ضد الإنسانية، وجرائم إبادة جماعية.

ويوضح المحرّر محيي الدين أتامان ومتين يوجا كايا تأثير طوفان الأقصى في أربعة أبعاد مختلفة، هي: البعد الثنائي والإقليمي والحضاري والعالمي؛ أمّا السياق الأضيق فالأمر فيه يتعلق بقوميتين متصارعتين (الفلسطينية الدفاعية، والإسرائيلية العدوانية والتوسعية)، وأما السياقان الثاني والثالث فالأمر فيهما يتعلق بالعرب والمسلمين (العرقية، والدينية)، وأما السياق الأخير، وهو السياق العالمي، فيتضمن بُعدًا إنسانيًّا؛ فوفقًا لأتامان ويوجا كايا تمثل المقاومة الفلسطينية إحدى أهم جبهات النضال ضد الإمبريالية، وهما يحللان تأثير طوفان الأقصى في هذه السياقات الأربعة للقضية.

يؤكد الكتاب أن طوفان الأقصى عزّز المشروع الإسلامي لفلسطين، والأهمية العميقة لبيت المقدس، وأكد فاعلية مشروع المقاومة بوصفها وسيلة مشروعة لنيل حقوق الشعب الفلسطيني. والقضية الفلسطينية تكتسب بُعدًا إنسانيًّا قويًّا على المستوى العالمي؛ فالعديد من الجهات السياسية والشعوب في جميع أنحاء العالم عَدّ فلسطين «قضية عالمية»، كما يرمز الصراع بين الفلسطينيين والصهاينة إلى الصراع بين المظلوم والظالم. ومن جهة أخرى أظهرت هذه العملية إخفاق المشروع الصهيوني في إخضاع الشعب الفلسطيني، ووجهت ضربة قاسية لعملية التطبيع في الشرق الأوسط، وأظهرت انهيار منظومة القيم الغربية.

يُعَدّ الكتاب مصدرًا توثيقيًّا مهمًّا للأحداث التي شهدتها فلسطين وتشهدها غزة الآن، ومرجعًا حديثًا أيضًا. يتميز الكتاب بأنه جاء متزامنًا مع أوضاع الحرب في غزة، وأنه باللغة الإنكليزية، وأنه بمشاركة عدد من المفكرين والأكاديميين البارزين والمعروفين من تركيا وفلسطين وأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية؛ لهذا يُعَدّ الكتاب ملفًّا غنيًّا بالمعلومات والدراسات التاريخية والسياسية.

الكلمة لكم

لن نتخل عن نقل الحقيقة، الحقيقة فقط،
بأمانة وبصوتكم. أينما كنتم في العالم،
هذا الميكروفون ملكٌ لكم

TURKUVAZ
MEDYA GRUBU

SABAH